

صورة الآخر في الفكر الفلسفي الغربي المعاصر يورغن هابرماس أنموذجا

*The image of the other in contemporary western philosophical**Jürgen Habermas is a mode*

مفتاح بن أعمار*1، بوعلام بن خيرة2

1 جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، مخبر التربية والابستمولوجيا، (الجزائر)

m.benamor@univ-dbk.m.dz

2 جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، مخبر التربية والابستمولوجيا، (الجزائر) boualemalg09@gmail.com

تاريخ النشر: 2021 / 06 / 05

تاريخ القبول: 2021/05/28

تاريخ الاستلام: 2021/05/10

ملخص:

نحاول في هاته الورقة البحثية تسليط الضوء على فكرة صورة الآخر لدى نموذج فكري بارز في الفكر الغربي المعاصر ألا وهو الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس. لعب هابرماس دورا مهما في فتح المجال التداولي المعاصر على مفهوم الآخر، عبر العديد من الآليات مثل العقل التواصلي واتيقا النقاش، كما عزز دور اللغة كوسيط جوهري وفعال في عملية التداول والتواصل، فهي ببساطة جسر نحو التفاهم والقبول والكونية المنشودة. موضحا بذلك مكانة الآخر في الوجود، ومعيدا بذلك الصورة الممزقة والضبابية التي رسمتها الحداثة على الآخر إلى نصابها وبياضها. حاول هابرماس بهذه الآليات احتواء الآخر وإعادة ادماجه وتفعيل دوره في الوجود.

كلمات مفتاحية: الأنا، الآخر، الحداثة، العقل التواصلي، أخلاق النقاش.

Abstract:

In this paper, we try to highlight the idea of the image of the other in a prominent intellectual model in contemporary western, German philosopher Jürgen Habermas. Habermas played an important role in opening the contemporary deliberative field to the concept of the other, through many mechanisms such as the communicative mind and the complexity of the discussion, and also promoted the role of language as a fundamental and effective intermediary in the process of trading and communication, it is simple a bridge towards understanding, acceptance and universality desired. He explained the place of the other in existence, returning the torn and blurry image that modernity painted on the other to its text and whiteness. With these mechanisms, Habermas tried to contain the other, reintegrate it and activate its role in existence.

Keywords: The ego , the other , modernity , communicative mind , the ethics of the discussion.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

تعتبر ثنائية الأنا والآخر من بين أهم وأقدم المشكلات الفكرية والفلسفية التي أرقّت المفكرين والفلاسفة وشغلت التفكير الإنساني عبر حقبه الزمنية المختلفة والمتتالية، من قديم العصور إلى يومنا هذا، نظرا لأهمية هذين المفهومين في المعادلة الوجودية. تعددت الآراء واختلفت حول هذين المفهومين وخاصة حول العلاقة بينهما، بين منتصر للذات وآخر منحاز للغير. هذا ما وجه الحقل الفكري عموما والفلسفي خصوصا إلى الاهتمام بهذه الثنائية والتعمق في دراستها. شهدت علاقة الأنا بالآخر تدهورا كبيرا في زمن الحداثة الغربية، حيث حدث شرح كبير بينهما بسبب الاهتمام المنقطع النظير والمبالغ فيه بالذات، حيث تمركزت الذات الغربية الحداثية حول أنها، مثله مثل الأنا، كذا سعى إلى ترميم علاقة الأنا بالآخر وفق شروط مضبوطة يلتزم بها الجميع دون استثناء مهما كانت رتبهم ومؤهلاتهم الفكرية وغيرها، هذا ما سنحاول التعرف عليه في هذه الورقة البحثية التي ستجيب على إشكالية تتمحور حول: ما هو تصور هابرماس للآخر؟ وهل يرقى هذا الخطاب إلى الكونية؟

شغلت فكرة الآخر حيزا كبيرا في الفكر المعاصر، بعدما عانت التهميش والإقصاء في الفكر الحداثي، الذي تمركز حول الذات وانطوى عليها، مهمشا ومقصيا الآخر من المعادلة الوجودية، بل اعتبره عدوا يجب القضاء عليه. لكن الفكر المعاصر حاول إعادة الآخر إلى الوجود، من خلال إعادة العلاقة بينه وبين الأنا، تتميز هذه العلاقة الجديدة بالحوار والتواصل والاحترام بعيدا عن الإقصاء والتهميش واللامساواة والتسلط، هذا ما حاول هابرماس إرساء دعائمه في المجتمع المعاصر من خلال اتيقا الحوار والتواصل.

من بين الدراسات ذات الصلة بالموضوع نجد كتاب " الهوية والتواصلية في تفكير هابرماس" لصاحبه " الناصر عبد اللاوي"، حاول فيه تسليط الضوء على إعادة إدماج الآخر في المجتمع الكوني، من خلال إرساء تواصل عقلائي وتفاهم بين الذوات التي تشترك في المكان وتسعى للانسجام، عبر قيم الحوار كأفق جديد للحقل الفلسفي المعاصر، رافضا بذلك الطرح الحداثي الذي سجن الإنسان، وداعيا إلى الإنسانية الكونية المشتركة. تتميز رؤيتنا عن هذه الرؤية في إبراز آليات احتواء الآخر المتمثلة في اتيقا النقاش والتواصل، ومن ثم تحليلها ونقدها، انطلاقا من التساؤل حول كونية اتيقا التواصل ومدى مشروعيتها وإشكالية تعميمها، إذا ما أخذنا في الحسبان الخصوصيات الهوياتية والتعدد والاختلاف، وبالتالي هل الانطلاقات الحقيقية لاحتواء الآخر عند هابرماس هي تنظير كوني أو إيديولوجية غربية خاصة؟.

اعتمدنا في مقالنا هذا على المنهج التحليلي، لأنه الأنسب للغوص في تشعبات فكرة الآخر ومكانته في الفكر الفلسفي الغربي، وكذا نظرة هابرماس إليه.

2. الأنا والآخر

أ / مفهوم الأنا:

شغلت فكرة الأنا الكثير من الفلاسفة والمفكرين عبر الحقب التاريخية المختلفة محاولين ضبط مفهوم الأنا وتحديد مميزاتها بدقة، حيث اجتمع هؤلاء على أن مفهوم الأنا: " ضمير المتكلم الواحد، وهو تعبير عن النفس الواعية بذاتها ... هو الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها، وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية، وهو دائما مطابق لنفسه وليس من اليسير فصله عن أعراضه. ويقابل الآخر والعالم الخارجي، ويحاول فرض نفسه على الآخرين وهو أساس الحساب والمسؤولية"¹. يدل مفهوم الأنا على الذات الإنسانية الفردية المكتملة التي تعبر عن نفسها بكلمة " أنا" وهي ضمير للمتكلم يعبر عن النفس وما يختلجها من مشاعر وجدانية، ومن أفكار عقلانية، ومن أفعال إرادية، ومن تصرفات مسؤولة. فالأنا تدل على الوعي والإرادة والمسؤولية. بذلك يصبح الأنا مطابقا للذات ومرافقا لها في كل ما تقوم به، وعليه يصعب أن يفصل بينهما.

أما مفهوم الأنا في الفلسفة فتعرف بأنها: "المتكلم ذاته، الأنا في الفلسفة هو القائل في فعل القول باعتبار القول الفعل الوعيوي الأعلى الذي تندرج تحته مختلف أفعال الوعي في تراتبية بنيوية معينة على صعيد كينوني وقيمي على حد سواء. وهكذا فالأنا هو القائل باعتبار وعيه لقوله ولقائلته بالذات"². يشير مفهوم الأنا في الفلسفة إلى الذات الفردية الواعية، ذلك أن الأنا يحوي بين طياته جميع الأفعال الواعية والمعبر عنها بواسطة الذات، محاكاة في شكل بنية تراتبية متكاملة من الأفعال الواعية سواء على الصعيد الوجودي أو على الصعيد الأخلاقي، يأتي فعل القول المعبر عن الذات وعن أفعالها الواعية في أعلى مراتب البنية، فالأنا بذلك هي القائل أو القائم بفعل القول الواعي المعبر عن ذاته وما يجول فيها من أفعال ومشاعر وأفكار، فالأنا هو الشعور والوعي والتعبير عن الذات أي مطابقة الأنا للذات.

يربط أبو الفلسفة الحديثة رونيه ديكرت بين الأنا والفكر والروح، وهذا ما نلمسه في هذا القول: " مع نهاية عصر النهضة قدم ديكرت صيغة الكوجيتو- الأنا. " أفكر إذا أنا موجود" وقد ارتبطت الأنا المفكرة مع العقل مع الروح بوصفها الجزء الإلهي الخالد- الكامل في ثنائية الإنسان. لهذا استدعت حركة الأنا المفكرة ضرورة ضمان الإلهي أنطولوجيا وإبستيمولوجيا"³. شهدت الأنا مع ديكرت تحولا حيث أصبحت مصاحبة للعقل المفكر، وأصبح يعبر عنها بعملية التفكير.

يعتقد هابرماس أن تطور الأنا يمر بثلاث مراحل أساسية يجملها في قوله: " لنبدأ بتطور الأنا. يمكن تحليل نشوء الكائن- الفرد من خلال الجوانب الثلاثة الخاصة بقدرات المعرفة للغة والفعل. ويمكن إدراج هذه الجوانب الثلاثة للتطور الإدراكي واللغوي والتفاعلي ضمن فكرة واحدة توحيدية لتطور الأنا: يتشكل الأنا في نظام من الانفصالات (Abgremtungen) ... بإجراء هذه الانفصالات يعرف الأنا أنه ليس ذاتية فحسب بل هو عنصر حيوي سبق له أن تعدى دائما حدود الذاتية في المعرفة

واللغة والتفاعل في الوقت نفسه: إننا بتميز ما هو ذاتي صرف عن ما هو غير ذاتي، يستطيع الأنا التماهي مع نفسه"⁴. يؤكد هابرماس بأن الأنا ليست ذاتية فحسب بل هي عنصر جوهري يتميز بالحيوية والتطور يتجاوز حدود الذاتية المنغلقة، ذلك راجع إلى جملة الانقسامات التي تندرج تحتها ممثلة في المعرفة واللغة والتفاعل، وهي جوانب ثلاثة تشكل مراحل تطور الأنا وتكونها المتواصل مع مراحل نمو الإنسان. حيث يمر بناء الأنا حسب هابرماس من خلال المرور بثلاث محطات أساسية تعبر عن انفصالات جوهريّة، أولى المراحل هي مرحلة الإدراك المعرفي التي يكتسب فيها الفرد جملة من المعارف والمعلومات، التي تنمي قدراته ومهارته المعرفية والعقلية، ثم مرحلة التواصل اللغوي حيث يكتسب الأنا الكثير من المفردات اللغوية التي تتيح له التواصل والتعبير عما يجول في ذاته، أما المرحلة الأخيرة فهي مرحلة الفعل يقوم فيها الفرد بجملة من الأفعال والتصرفات التي تعبر بصورة مباشرة عن ذاته ووعيمها بمسؤوليتها. فالأنا عنصر يتميز بالحيوية دائم التطور والتفاعل في كل مرحلة من مراحل العمر.

كما يميز هابرماس بين نوعين من الأنا، بين أنا ابستيمي، وأنا عملي، حيث يقول: "لكن توجد أيضا تماثلات بين البنى الخاصة بهوية الأنا والبنى الخاصة بالهوية الجماعية. وفي حين يتميز الأنا الابستيمي (بوصفه أنا عموما) بنفس هذه البنى الكلية للقدرات الخاصة على التوالي للمعرفة واللغة والفعل التي يشترك فيها الأنا مع كل الأنواع الأخرى. فإن الأنا العملي يتشكل ويتأكد كأنا فردي بالتتابع مع أفعاله. يضمن الأنا العملي هوية الشخص في اطار البنى الابستيمية للأنا عموما ... وفي الجملة، تمثل هوية الشخص إلى حد ما نتيجة عمليات تمييز التي يقوم بها الشخص نفسه"⁵. ينطلق هابرماس من تمييزه وتقسيمه للأنا من فكرة أن الأنا ليست فردية، بل تدخل فيها عدة عوامل معرفية وعملية، حيث تتفاعل الذات عبر المعرفة واللغة والفعل، هاته الأشياء هي أمور مشتركة بين الأنا والأنواع الأخرى. يحاول هابرماس هنا الانتقال من مفهوم الأنا التي شهدتها الحداثة الغربية، تلك الأنا المتمركزة حول نفسها بفعل العقل الأداتي، واعطائها مفهوما جديدا حيث تصبح جميع الأنواع والذوات متفاعلة لا متمركزة.

ب/ مفهوم الآخر:

يعرف أندريه لالاند الآخر على أنه: " أحد مفاهيم الفكر الأساسية، من ثمة يمتنع تعريفه فهو نقيض الذات (Meme)، ويقال كلمات: شتى (Divers)، مختلف (Different) أو متميز (Distinct). على أن هذه الأخيرة تتعلق أولا بالعملية العقلية التي تعرف الغيرية بواسطتها، بينما تقال الأولى خصوصا على وجود الغيرية من حيث هي موضوعية"⁶. يعتبر الآخر هو النقيض والمقابل للأنا، حيث تطلق الكثير من المصطلحات للتعبير عنه مثل شتى ومختلف، ومتميز التي تدل بوضوح على تميز الآخر وتفرد عن الأنا والخارج عنها، حيث تدل كلمة متميز على الميزة العقلية التي تثبت وجود الغير وتفرد على الأنا، أما كلمة شتى ومختلف فمصطلحات تدل على الوجود الموضوعي للغيرية بعيدا عن الذاتية وخارجا عنها ومتميزا عليها.

يعرف جميل صليبا الآخر بأنه: " ولفظ " الغير" في علم النفس مقابل للفظ " أنا" فكل ما كان موجود خارج الذات المدركة أو مستقلا عنها كان غيرها ونحن نطلق على الشيء الموجود خارج الأنا اسم اللاأنا أو الآخر، فالأنا إذا هو الذات المفكرة والموضوع الخارجي هو الآخر"⁷. ينطلق صليبا في تعريفه للآخر من تمييزه للغير المقابل للأنا والخارج عنها، والتميز بالاستقلالية عن الذات، فالآخر هو اللاأنا أي ليس ذاتي المفكرة بل هو موضوع خارج عن ذاتي مهما كان شكله، وعن طريقه تتعرف الأنا عن نفسها وأحوالها بواسطة الأحكام والمقارنات التمييزية التي تعقد بين الأنا والآخر.

ينطلق هابرماس في تأسيسه لمفهوم الآخر من جملة أفكار تؤسس للعقل الغربي المعاصر ومصححة لهفوات العقل الحدائي، حيث حاول إعطاء مفهوم للآخر من منظور تفاعلي تواصلية أخلاقي بعيدا عن الاقصاء والتهميش والتمركز، ومعترا بالاختلاف اعتمادا على العقل التواصلية الذي حاول نحته، إذ يقول: " الكونية مرتبطة بكينونة العقل، وهو أساسها الحقيقي، وبدونه تنعدم التواصلية بين الأفكار والبشر يبقى الاختلاف بدون معنى، وبالأحرى ستؤدي الاختلافات في حالة انعدام هذه التواصلية إلى الاستبداد والتنافر والحروب وسيفقد الإنسان رباطه مع الإنسانية"⁸. يشير هابرماس إلى مفهوم الآخر انطلاقا من أزمة الفكر الغربي وخاصة الحدائي. حيث يرى أن الأنا لا بد له من التواصل والتفاعل مع الآخر للخروج من الانطواء المقيت إلى فضاء التفاعل والتفاهم، حيث يعتقد أن التواصل مخرج للإنسانية من شرور الحروب والاستبداد والتناحر إلى رحاب التعايش المحترم والتفاهم والسلم بين الذوات المختلفة.

يؤكد هابرماس على أن بناء الأنا لا يتم بمعزل عن وجود الآخر والاحتكاك به، من خلال عملية التواصل، حيث يقول هابرماس: " في الحقيقة لا يمكن لأحد أن يبني شخصيته بمعزل عن أشكال التمييز الخاصة بالهوية التي يقوم بها الآخرون بخصوصه، من الواضح جدا أن الامر لا يتعلق بالنظر إلى ذلك بأشكال التمييز التي يقوم الآخرون اعتمادا على الموقف الافتراضي بمجرد ملاحظين، بل بأشكال التمييز التي يقومون بها اعتمادا على موقف انجازي كأطراف في التفاعل. لا يحقق الأنا أشكال التمييز الذاتية الخاصة به هو بالذات ويقدم نفسه بوصفه أنا عمليا على أنه منخرط في نشاط تواصلية. ويقوم أولئك الذين يساهمون في العمل التواصلية بالضرورة، كل منهم بالنسبة للآخر الافتراضي بأن تمايزهم معترف به من الآخرين"⁹. بمعنى أن بناء الأنا ووجودها متوقف على وجود الآخر والتفاعل معه عبر العملية التواصلية، فمن المستحيل أن تبني الذات أناها وتتعرف عليها دون احتكاكها بالآخر المختلف عنها والسماع لأحكامه التي يصدرها حولها، وذلك عبر أشكال المشاركة الفعلية والعملية في التواصل والحوار التي يمارسها العقل التواصل الذي يقر بالاعتراف المتبادل ويقود إلى القبول والتفاهم.

2. الآخر من الاقصاء الحدائي إلى فضاء التواصل

إن الحداثة الغربية بكل منجزاتها الايجابية على مختلف الأصعدة، إلا أنها وقعت في الكثير من الهفوات التي أزمّت وضعية الإنسان والمجتمع على حد سواء، لا سيما تأسيس الحداثة على عقل أداتي فردي متركز حول ذاته يقصى أي مفهوم للآخر، ويقضي على كل أشكال الاختلاف والتنوع، مما حرك دواليب النقد حول هذا العقل الانطوائي محاولة ايجاد مخرج وحل للأزمة. من بين أبرز المحاولات النقدية والتأسيسية في نفس محاولة الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس، التي سعت إلى إخراج الأنا من قوقعتها، وكذا ايقاف التهميش والاقصاء الذي يعاني منه الآخر نتيجة سطوة الأنا. اهتدى هابرماس إلى فكرة استبدال العقل الأداتي بآخر تواصلية يضمن تواجد ثنائية الأنا والآخر معا في جو يسوده القبول والاعتراف بدل الصراع، يقول هابرماس واصفا العقلانية التي يريد إرساء دعائمها: "إننا نسميه عقلانية، هو أولا الاستعداد الذي تبرهن عليه ذوات قادرة على الكلام والعمل وعلى اكتساب وتطبيق معرفة قابلة للخطأ. وما دامت مقولات فلسفة الوعي تفرض ففهم المعرفة بوصفها حصرا معرفة تخص أمرا ما موجودا في العالم الموضوعي فإن العقلانية تقيس نفسها بأسلوب الذات المنعزلة وهي تتوجه وفقا لمضمون أفكارها وعباراتها، يعبر العقل المتمركز على الذات على معايير العقلانية انطلاقا من محكي الحقيقة والنجاح بوصفهما ينظمان العلاقات التي تعقدها ذات عارفة وعاملة مع عالم أشياء ممكنة أو محتملة، أو أحوال شيء وفقا لغاية ما"¹⁰. ينطلق هابرماس في تأسيسه للعقل التواصلية من نقده للعقل الحدائي الذي يفرض سلطته ومعرفته على الذوات، ويتمسك بأناه وينطوي عليها، ويجعله دليلا حيث يسير وفقا لأفكاره ومقولاته، ليقضي بذل على أي وجود مختلف ممثلا في الآخر المتميز، يتسلح هذا العقل الإقصائي بمعايير يجعلها دليلا على نجاحه وهما الحقيقة التي يدعي معرفتها، والنجاح ممثلا في الغاية وهي المنفعة الفردية، أما العقلانية التي يريد هابرماس تأسيسها هي عكس العقلانية الإقصائية بل عقلانية احتوائية تواصلية وتفاعلية تتداوت فيها الذوات وتتفاعل عن طريق نقاش محترم هادف وواعي يقود إلى الاحترام والاعتراف المتبادل والقبول بين الجميع.

إن هم هابرماس الأول هو اخراج الأنا من تفوقها وتحقيق التواصل بين الذوات المختلفة، وبالتالي إعادة الآخر إلى الواجهة بعدما همشته الذات الحداثيّة، حيث يقول: " بالمقابل منذ اللحظة حيث نتصور المعرفة بوصفها معرفة يتوسطها التواصل، عندئذ تقيس المعرفة نفسها بملكة يمتلكها أشخاص يتصفون بالمسؤولية ويشاركون في التفاعل توجهه وفقا لمطالب مصداقية تستند إلى اعتراف متبادل بين الذوات. يحدد العقل التواصلية محددات التواصلية وفقا لإجراءات قائمة على الحجة ترمي إلى تكريم مباشر أو غير مباشر. للتطلع إلى الحقيقة القائمة على الحكم، والدقة المعيارية، والصدق الذاتي وأخيرا التماسك الجمالي"¹¹. يوضح هابرماس البديل الذي اقترحه للعقل الأداتي، المتمثل في العقل التواصلية المفضي إلى الاعتراف المتبادل والاقرار بالقبول من الجميع. حيث يستبدل المتمركز والانغلاق بالتواصل القائم على النقاش المبني على الحجة البيئية والغاية الواضحة الساعية إلى تحقيق

المنفعة الجماعية لجميع الأطراف المتحاوره، وفق أساس عقلائي مفتوح الأفق تتداوت فيه جميع الأنوات وتتفاعل. يشترط التواصل التحلي بالمسؤولية من طرف الجميع اتجاه الجميع في العملية الحوارية، كما يستلزم الاحترام والقبول والاعتراف قصد الوصول إلى التفاهم بشأن القضايا المطروحة للنقاش. حيث يميز هابرماس بين ثلاث أفعال رئيسية وهي الأفعال الأدائية، والأفعال الاستراتيجية، وأخيرا الأفعال التواصلية، حيث يقول: " نسبي فعلا أداتيا موجها نحو النجاح عندما نعتبره على شكل قواعد تقنية للعمل ونقوم درجة فاعليتها، لدى التداخل في سياق الأشياء والأحداث كما نسبي فعلا استراتيجيا الفعل الموجه نحو النجاح، عندما نعتبره على شكل قواعد اختيار عقلائي ونقم درجة فاعليته للتأثير الممارس على قرارات الشريك العقلائي فالأفعال الأدائية يمكن ارجاعها إلى تفاعلات اجتماعية بينما تمثل الأفعال نفسها أفعالا اجتماعية، أي مقابل هذا تسمى أفعالا تواصلية تلك التي تكون فيها مستويات الفعل بالنسبة للفاعلين المنتمين إلى العملية التواصلية غير مرتبطة بحاجيات أساسية وإنما مرتبطة بأفعال التفاهم"¹². يواصل هابرماس نقده المستمد من امتداده لمدرسة فرانكفورت باعتباره ممثلا الجديد من الجيل الثاني حيث اعتبر ان العقل الأداتي هو عقل تقني يمارس الاكراه على الآخرين ولم يجعله كند او اخرله من الحرية والاحترام محاولا تفسير الانطلاقات الحقيقية للعقل الحدائي فالأفعال في الحقيقة عند هابرماس جوهرها اجتماعي تقوم على التفاعل لا على الاكراه والغائية ومبنية على التواصل والتشاور والتفاهم هاته هي الافعال الحقيقية التي تنبع وتنطلق من الشريك الاجتماعي عكس العقل الأداتي والاستراتيجي الذي يسعى فقط للوصول الى غاياته ولو على حساب الاخر.

إن الانطلاقات النقدية لفلسفة العقل التواصلية حاولت بدورها اثبات الانا الغربية كما سعت لانخراط الذوات وتفاعلها مع بعضها والهدف منها هو التفاهم لا التصارع يبدو أن هابرماس تأثر بما أحدثته الحربين العالميتين من دمار للبشرية عندما تبنت الأفكار الأدائية والوجودية حيث نذكر في هذا السياق أن المانيا كانت من بين الدول التي عانت من آثار هذا الدمار ومخلفاته فهذا نتيجته عند هابرماس الأفكار الغائية والاستراتيجية الأدائية. فهي في النهاية لم تفضي إلا الى الحرب والصراع والدمار، أما العصر المعاصر فكان شئنا آخر بفتح هذا المجال الفلسفي والتداولي لفلسفات التواصل، وعرضها كحل لأزمة الانسان المعاصر بعرض مفهوم التفاهم والتواصل كأفضل حل لتجنب الخراب الذي شهده الانسان، حيث يحسب لهابرماس أنه انتقل من الفلسفة الأدائية الغائية إلى التواصل المجتمعي، فهو بذلك رمى الفلسفة في أحضان الجمهور والمجتمع على عكس النظرة السائدة التي حصرت الفلسفة والفكر فيها على السادة والنخبة. "حيث قدم واحدة من أهم النظريات المعاصرة "نظرية الفعل التواصلية" كبديل يتجاوز انسداد أفق العقلانية الأدائية"¹³. يؤكد هذا القول أهمية العقل التواصلية في تجاوز مآزق وأزمات الحداثة وعقلها الأداتي.

3. اللغة كوسيط مهم في العقلانية التوافقية

يؤسس هابرماس العقل التوافقي على مجموعة من الآليات المهمة في مقدمتها اللغة، التي تعتبر الوسيلة المثلى للتواصل مع الآخر وادماجه في العالم المعيش، حيث طور هابرماس دور اللغة من خلال اضافة الجانب التوافقي عنها، حيث يقول الناصر عبد اللاوي: " إن هابرماس اهتم بالتواصل واستعان بمصطلح المتكلم المثالي كنموذج للذات المتكلمة والقادرة على انجاز لغوي سليم، فهو لا يهتم بالأعضاء الكلية وإنما بالأعضاء الكونية التي تضبط شروط الممارسة الاجتماعية السليمة والقائمة على التداول السليم لشروط التداول المثالي للغة، الصدق، الصلاحية، المصادقية، الحقيقة"¹⁴. إن اهتمام هابرماس بالتواصل فرض عليه تبين الطريقة المثلى للغة، حيث استعان بها كوسيلة للتواصل جاعلا منها جسرا للتفاهم من خلال المتكلم المثالي الذي يحوز على قدرة عالية على التكلم والتحكم بالمفردات اللغوية التداولية في العملية النقاشية، فهو يحاول أن يضع المعايير الضرورية لتواصل لغوي سليم يقوم على الصدق في القول والحوار، وصلاحية الأحكام من خلال الاتفاق الجماعي بين أطراف الحوار حول مواضيع الحوار، والمصادقية والشفافية التامة من خلال التحلي بالموضوعية والمساواة من قبل جميع المتحاورين، وبالتالي الوصول إلى الحقيقة من خلال النقاش المثمر بين الذوات المختلفة. استبدل هابرماس أدوات الخطاب من العنف إلى التواصل، يضيف الناصر عبد اللاوي قائلا: " يستبدل علاقات العنف والقوة بعلاقات الحوار والجدال"¹⁵. استطاع هابرماس بالعقل التوافقي وأساسه اللغوي أن يستبدل الخطاب من خطاب العنف والقوة القائم على اقضاء الآخر إلى خطاب الحوار والجدال القائم على الحجة والبرهان والمفوضي إلى التفاهم والاعتراف بالآخر وقبوله.

تهدف العقلانية التوافقية إلى معالجة الحقيقة بوصفها سيرورة من البراهين والحجج انطلاقا من القضايا اللغوية المتبادلة بين الأشخاص المتحاورين، حيث لا تقوم الحقيقة إلا بالبرهنة عليها من خلال اتفاق بين المتخاطبين قائم على الشروط المعيارية للغة، حيث تعد اللغة وسيط التواصل بامتياز، فهي ليست تراكيب نحوية جوفاء أو مفردات وكلمات خاوية من المعنى وإنما هي طريقة أو وسيلة تكفل التواصل عبر الحوار وتعمل على تسهيل عملية الوصول إلى حقائق المتفاهم بشأنها بين الأفراد، وبذلك تخرج اللغة من كونها حاملة للأخبار وناقلة لها إلى وسيلة للتواصل. فالتواصل اللغوي يفوق الاتصال حيث يستفيد كل طرف من أطراف الحوار من عملية تبادل الخطاب والرموز التي تستعرض فيها حياتها على نحو تفاعلي محققة بذلك آليات الاندماج والتواصل في المجتمع وفقا لشروط حجاجية برهانية¹⁶.

يوضح الناصر عبد اللاوي أهمية اللغة في عملية التواصل بقوله: " تكشف اللغة عن مستويات الخطاب اللغوي من خلال النقاش وأخلاقياته، وتقويم مختلف النظريات التي فعلت هذه المسألة في نظرية الفعل التوافقي، وحرص هابرماس على تفعيل الخطاب اللغوي انطلاقا من أعمال بعض اللسانيين وفلاسفة اللغة ولا سيما أوستين وسوريل وكارسكي"¹⁷. تعتبر اللغة الأساس الجوهرية

الذي تقوم عليه العملية التواصلية حيث تعد الوسيلة الاساسية والآلية المثلث التي يتم بها النقاش، حيث تبرز اللغة أخلاق النقاش من خلال الخطاب الذي يتداول بين المتحاورين، كما تقوم بتصحيح الهفوات التي وقعت فيها النظريات التداولية السابقة عن التداولية التواصلية. إن اتخاذ هابرماس للغة كوسيط للتواصل وتفعيله الخطاب اللغوي لم يأتي بمعزل عن التأثيرات التي مارسها الأعمال اللغوية والنظريات التداولية السابقة، حيث تأثر هابرماس بالعديد من الأعمال اللغوية للفلاسفة اللغة على غرار أوستين ووكارسكي وغيرهما.

تكتسي اللغة أهمية في العقلانية التواصلية لدى هابرماس، هذا ما يؤكد أبو النور حمدي أبو النور حسن بقوله: " إن التواصل كما صور هابرماس ينظر إلى اللغة في بعدها البراغماتي، فهو يعني اللغة وهي منغمسة في تيار الانتاج والابداع، لكن ما حقيقة هذا الانتاج ومضمونه؟ يجيب هابرماس بصرامة واختصار إنه التفاهم أو " الوفاق" Entente وهو في هذه المسائل كما يقول على اتفاق تام مع فيتجنشتاين الذي يرى مفاهيمه عن اللغة والتفاهم مفاهيم أصلية. تعبر عن حقيقة الجهد الذي بذله في هذا المجال، فأغلب فلاسفة اللغة يرون في هذا الاندماج بين اللغة والتفاهم اختزالاً للظاهرة اللغوية المعاصرة"¹⁸. يلح هابرماس على أن اللغة هي الطريق الوحيد والأوحد للوصول إلى التفاهم، والتفاهم هو نتيجة التواصل الهادف والمسؤول، وبهذا يكون هابرماس قد تعامل مع اللغة بطريقة نفعية بحتة حيث يرى اللغة من زاوية الانتاج والابداع المتمثل في التفاهم والاتفاق، ليحذو بذلك حذو فيتجنشتاين الذي أكد عن أن مفاهيم اللغة والتفاهم مفاهيم أساسية. تعتبر اللغة أفضل طريقة تحتك بها الأنا بالأحر لتعيد اكتشاف نفسها وتخرج من انطوائها، وتتصالح في نفس الوقت مع الغير الذي اقصته وهمشته.

4. آليات احتواء الآخر من خلال اتيقا النقاش والتواصل

انطلاقاً من آلام العقل الغربي ومأساته الفكرية والإيديولوجية، وما شهده الآخر من اقصاء، حاول هابرماس أن يؤسس لمنظومة متكاملة تحتوي الآخر وتحترمه، فاهتدى إلى العقلانية التواصلية التي تقوم على النقاش، وأكمل هذا العمل بوضع أخلاقيات يضبط بها الحوار والخطاب بغية الوصول إلى التفاهم المنشود وتقبل الآخر والاعتراف به. اعتبر هابرماس هذه الأخلاقيات بمثابة الخلاص من أزمة الحداثة وإعادة بعثها في شكل جديد مؤسس على الحرية والاختلاف والتواصل والاعتراف المتبادل، دون تعنيف أو تسلط. تهدف أخلاقيات النقاش إلى زحزحة الأنا من تمركزها وإخراجها من تقوقعها، يقول هابرماس: " على كل، إن المشاركين في مناقشة ما لا يمكنهم أن يحلموا بادراك توافق حول ما يمكن أن نسميه القاسم المشترك المتساوي بين الجميع إلا إذا قام كل واحد منهم بالخضوع ذاتياً إلى ذلك التمرين الذي يمكننا من خلاله تبني وجهة نظر الآخر بغية تحقيق ما يسميه بياجيه زحزحة تدريجية للأنا عن المركز Decentrement وبالمرة إزاحة للذات المتمركزة حول ذاتها، ومن ثمة التخلي عن تلك

النظرة المركزية في تعامل الفهم مع العالم القائم¹⁹. يسعى هابرماس من اتيقا النقاش الى زحزحة مركزية الأنا، واخراجها من القوقعة التي تعيش فيها، والقضاء على الهوس الذي يعتريها خاصة هوس اقضاء الآخر وسطوتها على جميع الأشياء، من خلال تكريس ثقافة النقاش وأخلاقياته بوصفها السبيل الوحيد الذي يحقق هذا المسعى، حيث تضمن أخلاقيات الحوار والمساواة بين الجميع، وحرية إبداء الرأي والنقاش دون ضغوط أو تعنيف، كما تتيح لكل شخص التحلي بالمسؤولية اتجاه المجموعة فهو حوار هادف وواعي يقضى على كل مركزية منغلقة متسلطة.

تتطلب أخلاق النقاش توفر شرطين أساسين وضروريين، الشرط الأول يتمثل في الحرية التواصلية، أما الشرط الثاني فيتمثل في ضرورة انتهاء عملية النقاش باتفاق مقبول عقليا، يقول هابرماس في هذا الصدد: " فالمنافشة تلبي الشرطين حصرا: الشرط الأول كل مشارك فرد حر فيما يقوم به ما دام يحوز على السلطة الاستيمية في صيغة المتكلم، والتي تسمح له باتخاذ موقف من المواقف، وهنا لا أجد مندوحة من الاقرار بأنني على توافق مع البروفيسور رينو. الشرط الثاني هذه السلطة الاستيمية تتم ممارستها لغرض البحث عن اتفاق عقلائي مدروس ومن ثمة العمل على اختيار الحلول التي تكون مقبولة عقليا، وعقليا فقط، من قبل كل الأشخاص المنضوين والمعنيين هنا"²⁰. يصير هابرماس على أن تتصف المناقشة بالأخلاق العالية بين جميع أطراف النقاش، حتى يحقق الحوار المرجو منه بصفة كاملة غير منقوصة. من بين الأمور الواجب توفرها في أي نقاش أخلاقي هي الحرية التواصلية أي أن يتمتع كل شخص منخرط في الخطاب بالحرية المتساوية مع غيره من الأشخاص دون أي ضغوط أو تعنيف، أو فرض للحوار بقوة، بحيث تمكن هذه الحرية لكل عضو من أعضاء النقاش اتخاذ موقف من بين المواقف المتاحة تعبر عن وجهة نظره ورأيه في الموضوع المطروح للنقاش. جاءت أخلاق النقاش لتطرح البديل، محاولة ادماج الآخر في العملية التواصلية. إن اخضاع الآراء والقناعات للنقاش يسهم في الوصول لاتفاق والموضوعية والمساواة، إذ تضع منذ الوهلة الأولى شرطا صارما يمنع العنف اللفظي والمادي والحروب والاستبداد²¹.

تعتبر العقلانية التواصلية وأخلاقيات النقاش محاولة جادة تحاول إعادة بناء الأنا المدمرة بسبب انعزالها عن العالم من خلال الآخر المختلف، عن طريق التواصل والنقاش. كذلك جاءت العقلانية التواصلية للتخلص من يقين امتلاك الحقيقة.

إن قواعد اتيقا النقاش ليست عبارة عن جملة من الأوامر والنواهي، بل هي عبارة عن مجموعة من النظم والمعايير التي تهدف إلى تنظيم عملية التواصل لكي يتحقق التفاهم بين الأفراد في إطار عقلنة لغوية وسيادة معقولية ونقدية²².

سعى هابرماس إلى تصويب أفكار الحداثة الهدامة من خلال تأسيسه للعقل التواصلية وأخلاق المناقشة كحل بديل للأزمة التي يعاني منها الآخر، حيث أنها: " لكي تتمكن الحداثة من بلوغ مقاصدها، عليها تحصين العالم المعيش من الآثار المدمرة للنظام. عليها أن تستند إلى عقل تواصلية تحكمه

أخلاقيات التواصل، هذه الأخلاقيات المعيار الناظم لمشروع هابرماس نحو فلسفة سياسية اجتماعية تواصلية عقلانية²³. أراد هابرماس أن يجعل الأفراد متفاعلين داخل النسيج الاجتماعي وفق أسس حوارية تواصلية تلتزم أخلاقيات نقاشية تفرض الاحترام والاعتراف المتبادل والقبول، وتكرس الحرية والوعي والتحلي بالمسؤولية اتجاه الغير، ليوجه بذلك الضربة القاضية للأفكار الحدائية الهدامة التي سجت الأنا عن التفاعل مع الآخر، لأن هابرماس تناول الأخلاق من وجهة نظر اجتماعية لا من وجهة نظر ميتافيزيقية، محاولاً إعادة الغيرة لواجهة العالم المعيش. تشكل أخلاقيات التواصل أساس المشروع الفلسفي لهابرماس برمته وبمختلف جوانبه السياسية والاجتماعية والعقلانية وغيرها.

إن الغاية الحقيقية التي أراد هابرماس بلوغها من خلال العقل التواصلية هي ادماج واحتواء الآخر وجعله مشاركا وفاعلا داخل العالم المعيش عن طريق الحوار، ليتجاوز التعنيف والتهميش الذي فرضته الحدائة الغربية. ليساير هابرماس بذلك الأفكار المعاصرة التي اعترفت بالآخر كأنا ثانية لها خصوصياتها وجب قبولها واحترامها والاعتراف بها. فهي تستحق أن تعيش حياة هادئة في كنف الحرية والمساواة بعيد عن الفوضى والتسلط، حيث انتقل المجال التداولي من اقرار أن العقل هو المصدر الأول للمعرفة والسلطة إلى فضاء المساواة والتواصل والمشاركة، يقول هابرماس في هذا الشأن: " لا يمكن ادعاء صلاحية معيار ما إلا إذا اتفق كل الأشخاص المعنيين باعتبارهم مشاركين في نقاش عملي حول صلاحية معيار ما"²⁴. بمعنى أن أخلاقيات النقاش تستمد صلاحيتها وصلابتها من المشاركة والاتفاق بين الجميع، بذلك تتحقق غاية التواصل وهي الوصول إلى تفاهم مقبول، بحيث لا يمكن إطلاق حكم الصلاحية على أية معيار ما لم ينل الاتفاق التام بين جميع الأعضاء المتحاورين. إن النقد اللاذع الذي وجهه هابرماس للعقل الأداة كان موجها لتحقيق جملة من الأغراض، أولها إلغاء مركزية الأنا الفردية وإخراجها من سجنها، ثانيا إعادة بناء الأنا المدمرة، ثالثا إعادة صورة الآخر إلى العالم المعيش والوجود من خلال التواصل، أخيرا اصلاح العلاقة بين الأنا والآخر.

تؤكد جاكين روس على أن العقلانية التواصلية تعمل على تحفيز العقل العملي، وتقدم المعايير الضامنة للشفافية، حيث تقول: " إن العقلانية الاتصالية، وهي حافز العقل العملي، تقدم معيارا يتيح الحكم على شفافية السبل الاجتماعية، وهي تتيح كذلك تصور بناء (الحق)، ويفرض سلفا تعميما كليا للمصالح بوصفه جملة الشروط الضرورية لاتفاق الحريات. إن (الكلي) في (الحق) كما في الأخلاق لا يبدو أنه معطى، بل على أنه مطلب يتحقق ضمن الاتصال. وأن بحث (هابرماس) يندرج من هذه الزاوية في هذا الرصد المعاصر للكلي المشخص، الكلي الغني بالسمة الغيرية المعترف بها والمقبولة"²⁵. إن الغاية النهائية للعقلانية التواصلية وأخلاقيات النقاش هي وضع جملة من المبادئ والمعايير التنظيمية تضمن من خلالها شفافية النقاش، وشفافية السبل الاجتماعية في إطار الحرية والمسؤولية، عن طريق الوصول إلى اتفاق عقلائي كلي تتقبله جميع العقول المشاركة في الحوار. وفقا لضوابط النقاش من حرية ومسؤولية واحترام. كما تفسح العقلانية التواصل وأخلاقيات الحوار

المجال أمام تأسيس الحق الذي يبني بواسطة توحيد المصالح وتحقيق المنفعة الجماعية لأنها شرط ضروري يكفل تحقيق الحريات وممارستها دون تدخلات أو ضغوط مهما كانت. لتصبح بذلك قاعدة كونية صالحة للتطبيق والتداول بين الجميع، فالعقلانية التواصلية عقلانية أخلاقية بامتياز تسعى للتعايش بين الأنا والآخر في كنف الاحترام والاعتراف والقبول²⁶.

5. طموح ورهان كونية فلسفة الآخر

لا يختلف الكثير حول المجهودات التي بذلها يورغن هابرماس في تجديد الفكر الفلسفي المعاصر، حيث فتح الفكر الإنساني على العقل التواصلية وأخلاقيات النقاش، إذ يعتبر بحق من بين أهم المفكرين الذين سعوا إلى خدمة الإنسانية باحتواء الآخر وعدم رفضه، وبالتالي نبذ كل أنواع العنف عن طريق استبداله بالتفاهم والاحترام بين الأفراد والمجتمعات. كما يحسب له كذلك أنه نقل العقل الغربي من العقل الأداتي المتزمت والمنغلق والإقصائي إلى رحاب العقل التواصلية الاحتوائي التفاعلي بآلياته التواصلية والحوارية التي أصلحت علاقة الأنا بالغير. كما عمل على تخليص الذات من وهم امتلاك الحقيقة والمعرفة عن طريق العقل بإقراره أن الحقائق والمعارف يتم الوصول إليها عن طريق التواصل. استطاع هابرماس بهذا أن يعيد الآخر إلى عالم الواقع المعيش، وأن يحفظ مكانته من خلال مبادئ الحرية والمساواة. شهدت الفلسفة المعاصرة مع هابرماس تجديدا في خطاباتها المهترئة بفعل أفكار الحدأة والوضعية المنطقية التي شغلها بأمور لا طائل منها، لكن يبقى السؤال مطروحا رغم كل ما قدمه هابرماس من عقلانية تواصلية واخلاق للمناقشة، هل ترقى هذه المفاهيم إلى الكونية والعالمية، أم أنها تقصر على فئة معينة من الجماعات والمجتمعات؟

إن العقل التواصلية الذي أسسه هابرماس هو في الأصل امتداد للعقل الأداتي المتمركز حول الذات، والدليل على ذلك أن إذا تقصينا فلسفة هابرماس التواصلية نجدها تمركزت على عقل تواصلية يخدم المجتمع الغربي فقط دون المجتمع العالمي، فهو مجرد محاولة لإعادة بناء الأنا الغربية بآليات جديدة.

إذا افترضنا مع هابرماس صدق نية المشروع التواصلية كيف يكون التواصل بين الأنا والآخر المختلف تماما من حيث اللغة والدين والثقافة، على سبيل المثال بين أنا غربية وأخرى مسلمة هل سيتم قبولها والاعتراف بها كأنا ثانية تتميز بخصوصيتها، الواقع يثبت عكس ذلك والدليل واضح وجلي في صورة الاضطهاد والعنف والحروب الذي تتعرض له الشعوب المسلمة من طرف الأنا الغربية ولنا في القضية الفلسطينية عبرة ودليل وغيرها من الأدلة التي تثبت خدعة التواصل والاعتراف.

إن نظرية الفعل التواصلية لم تستطع أن تثبت جدارة وألوية الفعل التواصلية على الفعل الاستراتيجي كما يؤكد إيان كريب: "فهابرماس لم يثبت أولا - ولا يستطيع أن يثبت أولوية فعل التواصل على الفعل الاستراتيجي"²⁷. إذا افترضنا أسبقية الفعل التواصلية على الفعل الاستراتيجي ألا يعد الفعل

التواصلية فعلا استراتيجيا لأنه يخدم مصالح ضيقة ولا يرقى إلى الكونية العالمية فهو يسعى إلى اصلاح المجتمع الغربي فقط.

تبقى المشاريع الفكرية المعاصرة خاصة مشاريع التواصل والاعتراف لا ترقى إلى الكونية لاعتبارات عدة من بين طغيان التفكير الايديولوجي المتبجح بالأنا الغربية والمقدس لها، وعقلية الصراع المتراكمة عبر الأجيال، تبقى مجرد خداع واهمة واهية ظاهرها تواصل واعتراف وباطنها سطوة وتسلط واستمرار تمركز. يقول أبو النور حمدي أبو النور حسن: " يعتقد أكسل هونيث أحد أبرز تلامذة هابرماس أن الصورية التي يتم التبشير بها من طرف آبل هابرماس وهمية لأن التذرع بافتراضات معيارية يستنتج منها مبدأ الكونية بغرض أخلاقيات النقاش في الحقيقة لتصور جد ضيق للعدالة يتجلى في اختياره النموذج الغربي كنموذج شمولي وأعلى²⁸. ينتقد هونيث اتيقا النقاش حيث يعتقد أن المعايير التي وضعها هابرماس لأخلاقيات التواصل وهمية وضيقة وتتصف بالجور والظلم، ذلك راجع إلى انحياز هابرماس إلى النموذج الغربي واعتباره النموذج المثالي والشامل الذي يجب الاقتداء به ومنحه السلطة والمركز.

تؤكد الفيلسوفة الأمريكية سيليا بنحبيب أن أخلاق التواصل مجرد وهم خادع وذو للرمال في الأعين، ذلك بسبب أن الحياد والصورية التي تؤسس لهما وتنادي بهما اتيقا النقاش لا أساس لهما في الواقع، ذلك راجع لمحدودية الشروط التي تتطلبها خاصة محدودية المساواة، وبالتالي فأخلاق النقاش التي تدعي الكونية في حقيقة الأمر خاضعة لاعتبارات ثقافية وتاريخية محددة، هي ثقافة وتاريخ الغرب، ومحكومة بمنطق الحضارة الغربية، وعليه فإن التداولية اللغوية التي تتغنى بوصفها كونية تفقد هذا الوصف الكوني بسبب صدورها عن أنموذج وتصور غربيين للعقل والمنطق والمحاكاة العقلانية وإقصاء باقي النماذج. فهي أخلاق خاصة بحضارة محددة دون غيرها وهي الحضارة الغربية تخدم مصالحها الضيقة. لتكون بذلك أخلاق التواصل والنقاش مجرد تكريس للإيديولوجيا الغربية التي تسعى للسيطرة والهيمنة بشتى الطرق، ففي كل مرة تغير جلدها وقناعها واستراتيجياتها لتبقى شعارات الكونية والحوار وأخلاق النقاش والاعتراف من أكبر الخدع التي تمارس على العقول المغلوب على أمرها.

6. خاتمة:

لا شك أن ثنائية الأنا والآخر كان لها حضورا قويا في الحقل الفلسفي المعاصر، لا سيما بعدما انتهكت العلاقة التي تجمع بين الذات والغير بفعل الأفكار الحدائثية التي جعلت من العقل أداة لتحقيق غاياتها الفردية. يسعى الفكر الغربي المعاصر برمته إلى إعادة مفهوم الآخر إلى المعادلة الوجودية من خلال إدماجه واحتوائه عن طريق آليات مختلفة كالتواصل والاعتراف، وبالتالي اعطاؤه نفس القيمة والمكانة التي تتمتع بها الأنا تكريسا للحرية والاختلاف الفكري والثقافي، والتعامل معه بوصفه أنا ثانية.

أراد هابرماس من إيتيقا التواصل والنقاش إعادة بناء الأنا والعقل الغربي من خلال إعادة الآخر وربطه بالأنا لكي يساعدها على تخطي مأساتها. لعبت اللغة دورا مهما في عملية التواصل باعتبارها وسيطا وجسرا نحو التفاهم المنبثق عن عملية الحوار، وبوصفها كذلك القاسم المشترك بين الأنا والآخر الذي يضمن تواصل هادف يحقق الغايات المنشودة. كما تتطلب عملية التواصل الحرية والاعتراف والقبول كونها دلائل على الوعي والمسؤولية. ما يحسب لهابرماس كونه نقل الفلسفة من سطوة النخبة والسادة إلى أحضان المجتمع والجمهور، مسترجعا بذلك هيبتها التي فقدتها بفعل الحداثة والوضعية المنطقية. حيث ساوى بين الأنا والآخر عبر أخلاقيات الحوار الطامحة إلى التفاهم والقبول.

طمح هابرماس بمشروعه التواصلية إلى الكونية من خلال ترميم الأنواع المختلفة التي أهرقتها صراعات الحروب والاستبداد، فلا يستقيم حال المجتمع ما لم يمنح الآخر القيمة نفسها والمتساوية مع الذات، وما لم نصل إلى اتفاق. لكن يبقى مجرد طموح واهم وخادع لأن المنطلقات لم تكن موضوعية وشفافة، ولا المرتكزات مصداقية وبريئة، حيث انطلق من معاناة المجتمع الغربي الأوربي وأسس عليه نظرياته، بل واعتبره النموذج المثالي والشمولي فهو مشروع خاص بالحضارة الغربية وحدها وخادم لمصالحها الضيقة.

تبقى المشاريع الغربية الداعية للتواصل والاعتراف رغم ظاهرها الايجابية البريء إلا أن تخفي جوانب إيديولوجية مضمرة، تحاول فرض منطق وعقلانية الحضارة الغربية على الجميع وجعلها الحضارة المثالية والشم هابرماس ولية، لتبقى هذه المفاهيم والنظريات مجرد أقنعة تغطي بها نياتها المبطنة. يبقى العقل الغربي رغم ماله وما عليه يجتهد ليصحح أخطأه وهفواته عبر ابتكار آليات جديدة في كل مرة تعترضه الأزمات، لكن السؤال المطروح هو أين العقل العربي من كل هذه التحولات؟. نأمل أن نرى في المستقبل مشاريع عربية جادة ترقى لنيل الاستحقاق الفكري والفلسفي والاعتراف، لتعيد انجازات الأنا العربية والإسلامية التي كانت في وقت ما سيدة العالم والمتحكمة فيه.

5. قائمة المراجع:

1. أبو النور حمدي أبو النور حسن: يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 2012.
2. انشاء الله مصطفى: المجتمع المدني حدود المفهوم عند يورغن هابرماس، منتدى المعارف، بيروت، ط1، 2017.
3. بومنيير كمال: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
4. روس جاكلين: الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
5. زيادة معن: الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد1، معهد الامماء العربي، د ب، ط1، 1986.
6. صليبا جميل: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.
7. عبد اللاوي الناصر: التواصل والحوار أخلاقيات النقاش في الفكر الغربي المعاصر، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
8. عبد اللاوي الناصر: الهوية التواصلية في تفكير هابرماس، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
9. علوش نور الدين: المدرسة الألمانية النقدية نماذج مختارة من الجيل الأول إلى الجيل الثاني، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
10. كريب إيان: النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، تر: محمد حسين علوم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1999.
11. لالاند أندريه: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط2، 2002.

12. مصدق حسن: هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005 .
13. هابرماس يورغن: اتبعا المناقشة ومسألة الحقيقة، تر: عمر محبيل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
14. هابرماس يورغن: العلم والتقنية كإيديولوجيا، تر: حسن صقر، منشورات الجمل، بولونيا ألمانيا، ط1، 2003.
15. هابرماس يورغن: القول الفلسفي للحداثة، تر: فاطمة الجيوثي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1995.
16. هابرماس يورغن: ما بعد ماركس، تر: محمد ميلاد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2002.
17. وهبة مراد: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط5، 2007.
18. J Habermas: Morale et communication: conscience morale et activité communicationelle, tr Flammarion,1986.
19. 2 Habermas, J: Théorie de l'agir communicationelle, t1 rationalité de l'agir et rationalisation de la société, tr: Jean Mar Ferry, fayard, 1987.

الهوامش:

- ¹ وهبة مراد: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط5، 2007، ص 95.
- ² زيادة معن: الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد1، معهد الأتماء العربي، د ب، ط1، 1986، ص 114.
- ³ لمرجع نفسه، ص 116.
- ⁴ هابرماس يورغن: ما بعد ماركس، تر: محمد ميلاد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2002، ص 26.
- ⁵ المصدر نفسه، ص 133.
- ⁶ لالاند أندريه: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط2، 2002، ص 124، 125.
- ⁷ صليبا جميل: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 131.
- ⁸ هابرماس يورغن: العلم والتقنية كإيديولوجيا، تر: حسن صقر، منشورات الجمل، بولونيا ألمانيا، ط1، 2003، ص 12.
- ⁹ هابرماس يورغن: مصدر سابق، ص 34.
- ¹⁰ هابرماس يورغن: القول الفلسفي للحداثة، تر: فاطمة الجيوثي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1995، ص 482.
- ¹¹ المصدر نفسه، ص 482.
- ¹² Habermas J: Théorie de l'agir communicationelle, t 1 rationalité de l'agir et rationalisation de la société, tr: Jean Mar Ferry, fayard, 1987, p 10.
- ¹³ انشاء الله مصطفى: المجتمع المدني حدود المفهوم عند يورغن هابرماس، منتدى المعارف، بيروت، ط1، 2017، ص116.
- ¹⁴ عبد اللاوي الناصر: الهوية التواصلية في تفكير هابرماس، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 129.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص 130.
- ¹⁶ مصدق حسن: هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص 143.
- ¹⁷ عبد اللاوي الناصر: التواصل والحوار أخلاقيات النقاش في الفكر الغربي المعاصر، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 98.
- ¹⁸ أبو النور حمدي أبو النور حسن: يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 2012، ص 146، 147.
- ¹⁹ يورغن: اتبعا المناقشة ومسألة الحقيقة، تر: عمر محبيل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 22، 23.
- ²⁰ المصدر نفسه، ص 26.
- ²¹ علوش نور الدين: المدرسة الألمانية النقدية نماذج مختارة من الجيل الأول إلى الجيل الثاني، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 84.
- ²² بومنير كمال: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من مآس هوركايمر إلى أكمل هونيث، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 120.
- ²³ إنشاء الله مصطفى: المجتمع المدني حدود المفهوم عند يورغن هابرماس، مرجع سابق، ص135.
- ²⁴ Habermas J: Morale et communication: conscience morale et activité communicationelle, tr Flammarion,1986, p 87.
- ²⁵ روس جاكين: الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 77.

²⁶ أبو النور حمدي أبو النور حسن: يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، مرجع سابق، ص 151.

²⁷ كريب إيان: النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، تر: محمد حسين غلوم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1999، ص

.119

²⁸ أبو النور حمدي أبو النور حسن: هابرماس الأخلاق والتواصل، مرجع سابق، ص 271.